

تفسير البحر المحيط

@ 136 @ القراء كيف نصرف من صرف ثلاثياً . .

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْثَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ } هذا تهديد ثالث فالأول بأحد أمرين : العذاب والساعة ، والثاني : بالأخذ والختم ، والثالث : بالعذاب فقط . قيل : { بَغْثَةً } فجأة لا يتقدم لكم به علم وجهرة تبدو لكم مخيلة ثم ينزل . وقال الحسن : { بَغْثَةً } ليلاً وجهرة نهاراً . وقال مجاهد : { بَغْثَةً } فجأة آمنين وجهرة وهم ينظرون ، ولما كانت البغثة تضمنت معنى الخفية صح مقابلتها للجهرة وبدء بها لأنها أردع من الجهرة ، والجملة من قوله { هَلْ يُهْلَكُ } معناها النفي أي ما يهلك { إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ } ولذلك دخلت إلا وهي في موضع المفعول الثاني لا رأيتمكم والرابط محذوف أي هل يهلك به ؟ والأول من مفعولي { أَرَأَيْتُمْ } محذوف من باب الإعمال لما قررناه ، ولما كان التهديد شديداً جمع فيه بين أداتي الخطاب والخطاب لكفار قريش والعرب وفي ذكر الظلم تنبيه على علة الإهلاك والمعنى هل يهلك إلا أنتم لظلمكم ؟ وقرأ ابن محيص : { هَلْ يُهْلَكُ } مبنياً للفاعل . .

{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ } أي { مُبَشِّرِينَ } بالثواب { وَمُنْذِرِينَ } بالعقاب وانتصب { مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ } على الحال وفيهما معنى العلية ، أي أرسلناهم للتبشير والإنذار لأن تقترح عليهم الآيات بعد وضوح ما جاؤوا به وتبيين صحته . .

{ فَمَنْ أَمَنَّ وَأَصْلَحَ } أي من صدق بقلبه وأصلح في عمله . .
{ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِرُسُلَاتِنَا يَمْسَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } جعل { الْعَذَابُ } ماساً كأنه ذو حياة يفعل بهم ما شاء من الآلام . وقرأ علقمة : نمسهم العذاب بالنون من أمس وأدغم الأعمش العذاب بما كأبي عمرو . وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش { يَفْسُقُونَ } بكسر السين . .

{ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ * بِالْغَيْبِ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ رَأَى مَلَائِكُكُمْ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } قال الزمخشري : أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمة بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب ، وإني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه

منزلة منه ، أي لم أدع الألوهية ولا الملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدون دعواي وتستنكرونها ، وإنما ادّعيّ ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة ، انتهى . وما قاله : من أن المعنى إني أقول لكم إني لست بإله فأ نصف بصفاته من كينونة خرائنه عندي وعلم الغيب ، وهو قول الطبري ، والأظهر أنه يريد أنه بشر لا شيء عنده من خرائن الله ولا من قدرته ولا يعلم شيئاً مما غاب عنه قاله ابن عطية . وأما قول الزمخشري في الملائكة هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة فهو جار على مذهب المعتزلة من أن الملك أفضل خلق الله ، وقد استدل الجبائي بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من الأنبياء قال : لأن معنى الآية لا أدّعيّ منزله فوق منزلتي فلولا أن الملك أفضل لم يصح ذلك . قال القاضي : إن كان الغرض مما نفى طريقة التواضع فالأقرب أن يدل على أن الملك أفضل وإن كان نفى قدرته عن أفعال لا يقوى عليها إلا الملائكة لم يدل على كونهم أفضل ؛ انتهى . .

وقد تكلمنا على ذلك عند قوله : { وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ } . وقال ابن عطية : وتعطى قوة اللفظ في هذه الآية أن الملك فضل من البشر وليس